مَسْلَكٌ أخلاقيٌّ مَخصُوصٌ بالقرآن
بناؤه على الحبِّ العُبوديّ

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

بحثٌ قرآنيٌّ في الأخلاق للعلّامة الطّباطبائيّ أورده في الجزء الأوّل من (تفسير الميزان)، ميّز فيه بين ثلاثة مسالك تربويّة. الأوّلان هما تهذيبُ النّفس بالغايات الدّنيويّة ثمّ الأخلاقيّة، والثّالث – وهو مخصوصٌ بالقرآن الكريم دون غيره من الكُتُب السّماويّة المتقدّمة – تهذيبُها بالعبوديّة الحقّة.

إنّ إصلاحَ أخلاق النّفس ومَلَكاتها في جانبَي العلم والعمل، واكتسابَ الأخلاق الفاضلة، وإزالةَ الأخلاق الرّذيلة، يكون بتكرار الأعمال الصّالحة المناسبة لها، ومزاولتِها، والمداومةِ عليها، حتّى تثبُتَ في النّفس من الموارد الجزئيّة علومٌ جزئيّة، وتتراكمَ وتنتقشَ في النّفس انتقاشاً مُتعذّر الزّوال أو مُتعسّرها. مثلاً، إذا أراد الإنسانُ إزالةَ صفة الجُبْن واقْتِناءَ ملَكة الشّجاعة، كان عليه أن يكرِّر الورود في الشّدائد والمهاول الّتي تزلزلُ القلوبَ وتُقَلْقِلُ الأحشاء، وكلّما وَرَدَ في موردٍ منها وشاهد أنّه كان يمكنه الورود فيه، وأدرك لذّة الإقدام وشناعة الفرار والتّحذُّر، انتَقَشَت نفسُه بذلك انتقاشاً بعد انتقاشٍ، حتّى تثبُت فيها ملَكةُ الشّجاعة، وحصولُ هذه المَلَكَة العلميّة، وإنْ لم يكن في نفسه بالاختيار، لكنّه بالمقدّمات الموصلة إليه اختياريٌّ كسبيٌّ. إذا عرفْتَ ما ذكرناه، علمْتَ أنّ الطّريق إلى تهذيب الأخلاق واكتِساب الفاضلة منها أحدُ مسلَكَين:

المَسلك الأوّل: تهذيبُها بالغايات الصّالحة الدّنيويّة، والعلوم والآراء المحمودة عند النّاس، كما يقال: إنّ العفّة وقناعة الإنسان بما عنده، والكفَّ عمّا عند النّاس، توجبُ العزّةَ والعَظَمة في أعيُنِ النّاس، والجاهَ عند العامّة. وإنّ الشّرَه يوجب الخَصاصة والفقر، وإنّ الطّمع يوجب ذلّة النّفس المنيعة، وإنّ العلمَ يوجبُ إقبالَ العامّة، والعزّة والوجاهة والأنسَ عند الخاصّة، وهذا هو المسلكُ المعهود الّذي رُتِّب عليه علمُ الأخلاق، والمأثورُ من بحث الأقدمين من يونان وغيرهم فيه.

لم يَستعمل القرآنُ هذا المسلك الّذي بناؤه على انتخابِ الممدوح عند عامّة النّاس عن المذموم عندهم، والأخذِ بما يستحسنُه الاجتماعُ، وتركِ ما يستقبحُه.

المسلك الثّاني: [تهذيبُ الأخلاق] بالغايات الأُخرويّة، وقد كثُر ذكرُها في كلامه تعالى، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ..﴾ التّوبة:١١١، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزّمر:١٠، وقوله تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم:٢٢، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ..﴾ البقرة:٢٥٧، وأمثالها كثيرة على اختلافِ فنونها.

ويلحق بهذا القسم نوعٌ آخر من الآيات، كقولِه تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ..﴾ الحديد:٢٢-٢٣، فإنّ الآيةَ دَعَت إلى ترك الأسى والفرح، بأنّ الّذي أصابَكُم ما كان ليُخطئَكم، وما أخطأَكُم ما كان ليُصيبَكُم، لاستنادِ الحوادث إلى قضاءٍ مقضيٍّ وقدَرٍ مُقدّر. فالأسى والفرح لغوٌ لا ينبغي صدورُه من مؤمنٍ يؤمنُ بالله الّذي بيده أزمّةُ الأمور، كما يشير إليه قولُه تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ..﴾ التّغابن:١١، فهذا القسم من الآيات أيضاً نظيرُ القسم السّابق الّذي يُتسبّب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالغايات الشّريفة الأُخرويّة، وهي كمالاتٌ حقيقيّةٌ غيرُ ظنّيّةٍ، يُتسبّب فيه إلى إصلاح الأخلاق بالمبادئ السّابقة الحقيقيّة، من القدَر، والقضاء، والتّخلُّق بأخلاق الله، والتّذكّر بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ونحو ذلك.

شُبهة

فإنْ قلتَ: التّسبّبُ بمثل القضاء والقدر يوجبُ بطلانَ أحكام هذه النّشأة الاختياريّة، وفي ذلك بطلانُ الأخلاق الفاضلة، واختلالُ نظام هذه النّشأة الطّبيعيّة، فإنّه لو جازَ الاستنادُ في

إصلاح صفة الصّبر والثّبات، وترْك الفرح والأسى كما استُفيد من الآية السّابقة إلى كون الحوادث مكتوبةً في لوحٍ محفوظٍ، ومقضيّةً بقضاءٍ محتومٍ، أمكنَ الاستنادُ إلى ذلك في تركِ طلبِ الرّزق، و[تَرْك] كسبِ كلّ كمالٍ مطلوبٍ، و[تَرْك] الاتّقاءِ عن كلّ رذيلةٍ خُلُقيّةٍ، وغير ذلك، فيجوز حينئذٍ أنْ نقعدَ عن طلبِ الرّزق، والدّفاع عن الحقّ ونحو ذلك، بأنّ الّذي سيَقع منه مقضيٌّ مكتوبٌ، وكذا يجوزُ أنْ نتركَ السّعيَ في كسب كلّ كمالٍ، وترْكِ كلّ نقصٍ بالاستناد إلى حَتْمِ القضاء وحقيقةِ الكتاب، وفي ذلك بطلانُ كلّ كمالٍ!

قلتُ: قد ذكرنا في البحث عن القضاء، أنّ الأفعالَ الإنسانيّة [مكوّنة] من أجزاءِ عِلَلِ الحوادث. ومن المعلوم أنّ المعاليل والمسبَّبات يتوقّف وجودُها على وجود أسبابها وأجزاء أسبابها، فقول القائل: إنّ الشّبعَ إمّا مقضيُّ الوجود وإمّا مقضيُّ العدَم، وعلى كلّ حالٍ فلا تأثير للأكل [هو] غلطٌ فاحشٌ، فإنّ الشّبع فرضُ تحقّقِه في الخارج لا يستقيمُ إلّا بعد فرضِ تحقُّق الأكل الاختياريّ، الّذي هو أحدُ أجزاء عِلَلِه، فمن الخطأ أن يفرضَ الإنسان معلولاً من المعاليل، ثمّ يحكمَ بإلغاءِ عِلَلِه، أو شيءٍ من أجزاءِ عِلَلِه.

فغيرُ جائزٍ أن يُبطلَ الإنسانُ حكمَ الاختيار الّذي عليه مدارُ حياته الدّنيويّة، وإليه تنتسبُ سعادته وشقاؤه، وهو أحدُ أجزاء عِلَلِ الحوادث الّتي تلحقُ وجوده، من أفعاله، أو الأحوال والملَكات الحاصلة من أفعاله. غير أنّه كما لا يجوز له إخراجُ إرادته واختياره من زُمرة العِلَل، وإبطال حكمه في التّأثير، كذلك لا يجوزُ له أنْ يحكمَ بكون اختياره سبباً وحيداً، وعلّةً تامّةً إليه تَستندُ الحوادث، من غير أن يشاركه شيءٌ آخَر من أجزاء العالم والعِلَلِ الموجودةِ فيه، الّتي في رأسها الإرادةُ الإلهيّة، فإنّه يتفرّع عليه [أي يتفرّع على الحُكم بكون اختياره سبباً وحيداً] كثيرٌ من الصّفات المذمومة، كالعُجب، والكِبر، والبخل، والفرح، والأسى، والغمّ، ونحو ذلك.

فإذا عرفْتَ ما ذكرنا، وهو حقيقةٌ قرآنيّة يُعطيها التّعليم الإلهيّ كما مرّ، ثمّ تدبّرتَ في الآيات الشّريفة الّتي في المورد، وجدتَ أنّ القرآنَ يَستندُ إلى القضاءِ المحتوم، والكتاب المحفوظ في إصلاح بعض الأخلاق دونَ بعضٍ.

فما كان من الأفعال أو الأحوال والملَكات يوجبُ استنادُها إلى القضاء والقدر إبطالَ حُكْم الاختيار، فإنّ القرآن لا يَستندُ إليه، بل يدفعُه كلّ الدّفع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:٢٨.

وما كان منها يوجبُ سلبُ استنادها إلى القضاء إثباتَ استقلال اختيار الإنسان في التّأثير، وكونَه سبباً تامّاً غير محتاجٍ في التّأثير، ومستغنياً عن غيره، فإنّه يثبُت استنادُه إلى القضاء ويهدي الإنسان إلى مستقيمِ الصّراط الّذي لا يُخطئ بسالكه، حتّى ينتفيَ عنه رذائل الصّفات الّتي تتبعه كإسنادِ الحوادث إلى القضاء كي لا يفرح الإنسان بما وجده جهلاً، ولا يحزن بما فقده جهلاً، كما في قوله تعالى: ﴿..وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ..﴾ النّور:٣٣، فإنّه يدعو إلى الجُود بإسناد المال إلى إيتاء الله تعالى، وكما في قوله تعالى: ﴿..وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة:٣، فإنّه يندبُ إلى الإنفاق بالاستناد إلى أنّه مِن رزق الله تعالى، وهذا المسلكُ – أعني الطّريقة الثّانية في إصلاح الأخلاق – طريقةُ الأنبياء، ومنه شيءٌ كثيرٌ في القرآن، وفي ما يُنقل إلينا من الكُتُب السّماويّة.

مسلكٌ أخلاقيٌّ خاصّ

وها هُنا مسلكٌ ثالثٌ مخصوصٌ بالقرآن الكريم، لا يوجدُ في شيءٍ ممّا نُقل إلينا من الكتب السّماويّة، وتعاليم الأنبياء الماضين، سلام الله عليهم أجمعين، ولا في المعارف المأثورة من

إرادةُ الإنسان واختياره هي واحدةٌ من أجزاء عِلَلِ الحوادث، فلا يصحُّ نفيُها، ولا يجوز توهُّم كونها علّةً تامّة.

يقومُ المسلكُ الأخلاقيّ القرآنيّ على إزالة الأوصاف الرّذيلة بالرّفع، لا بالدّفع.

اعتقادُ العبدِ بأنّ الله تعالى هو المالكُ لذوات الأشياء ولمتعلّقاتها كافّة، يُوجِبُ سقوطَها ذاتاً، ووصفاً، وفعلاً، عندَه، عن درجة الاستقلال.

الحكماء الإلهيّين، وهو تربيةُ الإنسان وصفاً وعلماً باستعمال علوم ومعارف لا يبقى معها موضوعُ الرّذائل، وبعبارةٍ أخرى: إزالةُ الأوصاف الرّذيلة بالرّفع، لا بالدّفع.

وذلك كما أنّ كلَّ فعلٍ يُراد به غيرُ الله سبحانه، فالغايةُ المطلوبة منه إمّا عزّةٌ في المطلوب يطمعُ فيها، أو قوّةٌ يخافُ منها ويحذرُ عنها، لكنّ الله سبحانه يقول: ﴿..إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا..﴾ يونس:٦٥، ويقول: ﴿..أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا..﴾ البقرة:١٦٥، والتّحقّق بهذا العلم الحقّ لا يُبقي موضوعاً لرياءٍ، ولا سمعةٍ، ولا خوفٍ من غير الله، ولا رجاءٍ لغيره، ولا ركونٍ إلى غيره، فهاتان القضيّتان إذا صارتا معلومتَين للإنسان تغسلان كلَّ ذميمة، وصفاً أو فعلاً عن الإنسان، وتُحلّيان نفسَه بحليةِ ما يقابلُها من الصّفات الكريمة الإلهيّة، من التّقوى بالله، والتّعزّز بالله، وغيرهما من مناعةٍ، وكبرياءٍ، واستغناءٍ، وهيبةٍ إلهيّةٍ ربّانيّة.

وأيضاً قد تكرّر في كلامه تعالى: أنّ المُلكَ لله، وأنّ له ملكَ السّماوات والأرض، وأنّ له ما في السّماوات والأرض، وحقيقةُ هذا المُلك كما هو ظاهر لا تُبقي لشيءٍ من الموجودات استقلالاً دونه، واستغناءً عنه بوجهٍ من الوجوه، فلا شيءَ إلّا وهو سبحانه المالكُ لذاته ولكلّ ما لِذاته، وإيمانُ الإنسان بهذا المُلك، وتحقّقه به، يُوجِبُ سقوطَ جميع الأشياء ذاتاً، ووصفاً، وفعلاً، عنده، عن درجة الاستقلال. فهذا الإنسان لا يُمكنه أن يريدَ غيرَ وجهه تعالى، ولا أنْ يخضعَ لِشيءٍ، أو يخاف، أو يرجو شيئاً، أو يلتذّ، أو يبتهجَ بشيء، أو يركنَ إلى شيء، أو يتوكّلَ على شيء، أو يُسلِّمَ لشيء، أو يفوّض إلى شيءٍ غير وجهه تعالى.

وبالجملة، لا يريدُ ولا يطلبُ شيئاً إلّا وجهَه الحقّ الباقي بعد فناء كلّ شيءٍ، ولا يُعرض إعراضاً ولا يهرب إلّا عن الباطل الّذي هو غيرُه، الّذي لا يرى لوجوده واقعاً ولا يعبأ به قبالَ الحقّ، الّذي هو وجودُ بارئه جلّ شأنُه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ طه:٨، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ..﴾ الأنعام:١٠٢، وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ..﴾ السّجدة:٧، وقوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ..﴾ طه:١١١، وقوله: ﴿..كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ البقرة:١١٦، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ..﴾ الإسراء:٢٣، وقوله: ﴿..أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصّلت:٥٣، وقوله: ﴿..أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ فصّلت:٥٤، وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ النّجم:٤٢.

خلاصة

فأوّل المسالك [التّربية بالغايات الدّنيويّة] يدعو إلى الحقّ الاجتماعيّ، وثانيها [التّربية بالغايات الأخرويّة] يدعو إلى الحقّ الواقعيّ، والكمال الحقيقيّ الّذي فيه سعادةُ الإنسان في حياته الآخرة، وثالثُها [التّربية بالعبوديّة الحقّة] يدعو إلى الحقّ الّذي هو الله، ويَبني تربيتَه على أنّ الله سبحانه واحدٌ لا شريكَ له، ويُنتج العبوديّة المَحْضة.

وقد أهدى هذا المَسلكُ إلى الاجتماع الإنسانيّ جمّاً غفيراً من العُبّاد الصّالحين، والعلماء الرّبّانيّين، والأولياء المُقرّبين رجالاً ونساءً، وكفى بذلك شرفاً للدّين.

على أنّ هذا المسلكَ ربّما يفترقُ عن المسلَكين الآخرين بحسب النّتائج، فإنّ بناءه على الحبّ العبوديّ، وإيثارِ جانب الرّبّ على جانب العبد، ومن المعلوم أنّ الحبّ والولَه والتّيم ربّما يدلُّ الإنسانَ المُحبَّ على أمورٍ لا يستصوبُها العقلُ الاجتماعيّ، الّذي هو مِلاكُ الأخلاق الاجتماعيّة، أو الفهم العامّ العاديّ، الّذي هو أساسُ التّكاليف العامّة الدّينيّة، فللعقلِ أحكامٌ، وللحبِّ أحكامٌ.

موجز في التّفسير

سورةُ «محمّد» صلّى اللّه عليه وآله

إعداد : سليمان بيضون

*** السُّورة السّابعة والأربعون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «الحديد».**

*** آياتُها ثمانٌ وثلاثون، وهي مدنيّة، يُحفظ قارئُها من الشّرك والكفر، ويكون يوم القيامة في أمانِ الله تعالى، وأمانِ رسوله صلى الله عليه وآله.**

*** سُمِّيتْ بسورة «محمّد» صلى الله عليه وآله، لأنّ اسمَه الشّريف قد ذُكر في الآية الثّانية منها، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..﴾.**

*** واسمُها الآخر سورة «القتال» لقوله تعالى: ﴿..فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ..﴾ في الآية العشرين منها.**

وَرد اسمُ «محمّد» صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم في أربعة مواضع، هي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ..﴾ آل عمران:١٤٤، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ..﴾ الأحزاب:٤٠، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ..﴾ محمد:٢. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ..﴾ الفتح:٢٩.

محتوى السّورة

(**تفسير الميزان**): تصفُ السُّورةُ الّذين كفروا بما يخصُّهم من الأوصاف الخبيثة، والأعمال السّيّئة، وتصفُ الّذين آمنوا بصفاتهم الطّيّبة وأعمالهم الحسنة، ثمّ تذكر ما يعقُب صفاتِ هؤلاء من النّعمة والكرامة، وصفاتِ أولئك من النّقمة والهوان.

وعلى الجملة: فيها المُقايسة بين الفريقَين، في صفاتهم، وأعمالهم في الدُّنيا، وما يترتّب عليها في الأُخرى، وفيها بعضُ ما يتعلّق بالقتال من الأحكام.

***

(**تفسير الأمثل**): إنّ مسألة الجهاد وقتال أعداء الإسلام هو أهمّ موضوعٍ ألقى ظلالَه على هذه السّورة، في حين أنّ جزءاً مُهِمّاً آخَر من آياتها يتناول المقارنة بين حال المؤمنين والكافرين، وخصائصهم وصفاتهم، وكذلك المصير الّذي ينتهي إليه كلٌّ منهما في الحياة الآخرة. ويمكن تلخيص محتوى هذه السُّورة بصورةٍ عامّةٍ في عدّة فصول:

١ – مسألةُ الإيمان والكفر، والمقارنة بين أحوال المؤمنين والكفّار في هذه الدُّنيا وفي الحياة الآخرة.

٢ – بحوثٌ معبّرةٌ، بليغةٌ، وصريحةٌ حول مسألة الجهاد وقتال المشركين، والتّعليمات الخاصّة في ما يتعلّق بأسرى الحرب.

٣ – شرحُ أحوال المنافقين، الّذين كان لهم نشاطات هدّامة كثيرة حين نزول هذه الآيات في المدينة.

٤ – مسألةُ السَّير في الأرض، وتدبُّر مصير الأقوام الماضين وعاقبتهم، كَدرسٍ للاعتبار والاتّعاظ.

٥ – مسألةُ الاختبار الإلهيّ لمناسبتها موضوعَ القتال والجهاد.

٦ – مسألةُ الإنفاق الّذي يُعتَبر بحدّ ذاته نوعاً من الجهاد، وجاء الحديث عن مسألة البخل الّذي يقعُ في الطّرف المقابل.

٧ – وتناولت بعضُ آيات السّورة مسألةَ الصُّلح مع الكفّار، الّذي يكون أساساً لهزيمة المسلمين وذِلّتهم، ونَهت عنه.

ثواب تلاوتها

(**ثواب الأعمال**): عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورة (الَّذين كَفَرُوا) لم يرتَبْ أبداً، ولَمْ يَدخلْه شكٌّ في دِينِه، ولم يَبْتلِهِ اللهُ بفقرٍ**

أبداً، ولا خوفِ سلطانٍ أبداً، ولم يزَلْ محفوظاً من الشّرك والكفر أبداً حتّى يموت، فإذا ماتَ وَكَّلَ اللهُ به في قبره ألفَ ملَكٍ يُصلّون في قبره، ويكون ثوابُ صلاتهم له، ويُشيّعونه حتّى يُوقفوه موقفَ الأمنِ عندَ الله عزَّ وجلَّ، ويكون في أمانِ الله، وأمانِ محمّدٍ».

تفسيرُ آياتٍ منها

بعد ذكرِ الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها، نقلاً عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله تعالى عليه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ ..﴾ محمّد:٢.

أمير المؤمنين عليه السلام: «جاءَ نَفَرٌ من اليهود إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، فَسَأَلَهُ أعلمُهُم في ما سَأَلَهُ، فقال: لأيِّ شَيءٍ سُمّيتَ محمّداً، أو أحمدَ، أو أبا القاسم، وبشيراً، ونذيراً وداعياً؟ فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: أمّا محمّد، فإنّي محمودٌ في الأرض، وأمّا أحمد فإنّي محمودٌ في السّماء..».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ محمّد:٧.

أمير المؤمنين عليه السلام: «لَمْ يَسْتَنْصِرْكُم من ذُلٍّ ولَهُ جنودُ السَّماواتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم، وإنّما أرادَ أنْ يَبْلُوَكُم أيُّكم أحسنُ عَمَلاً، وبَادِرُوا بِأعْمَالِكُم تكونوا مع جيرانِ الله في دارِهِ، رافَقَ بهم رُسُلَه، وأزارَهُم ملائكتَه، وأكْرَمَ أسماعَهُم عَنْ أنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نارٍ أبداً، وصانَ أجْسادَهُم أنْ تَلْقَى لُغُوباً ونَصَباً..».

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ..﴾ محمّد:١٨.

النّبيّ صلى الله عليه وآله: «مِن أَشْراطِ السّاعةِ أن يُرفعَ العِلمُ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ، ويَفْشوَ الزِّنا، وتَقِلَّ الرِّجالُ، وتَكْثُرَ النِّساءُ، حتّى أنَّ الخَمسينَ امرأةً فيهنّ واحِدٌ مِنَ الرِّجال».

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ..﴾ محمّد:١٩.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «قالَ رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله: الاسْتِغْفارُ وقَوْلُ لا إلهَ إلّا اللهُ خيرُ العبادة، قال اللهُ العزيزُ الجَبّارُ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ..﴾».

** الإمام الباقر عليه السلام: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَعْظَمَ ثَواباً مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، ولا يَشْرَكُهُ فِي الأُمُورِ أَحَدٌ».

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ محمّد:٢٢.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا ظَهَرَ العلمُ، واحتُرِزَ العملُ، وائتلفتِ الألْسُنُ، واخْتَلَفتِ القلوبُ، وتقاطعتِ الأرْحامُ، هنالِكَ لَعَنَهُم اللهُ فَأَصَمَّهُم وأَعْمَى أَبْصارَهُم».

** الإمام الباقر عليه السلام: «في كتابِ عليٍّ عليه السّلام: ثلاثُ خصالٍ لا يموتُ صاحبُهنّ حتّى يرى وَبالَهُنّ: البَغْيُ، وقَطِيعَةُ الرَّحِم، واليَمينُ الكاذبةُ يُبارِزُ اللهَ بها..».

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ..﴾ محمّد:٢٨.

* سأل أحدُ الزَّنادقة الإمامَ الصّادق عليه السلام عن الله تعالى: فَلَهُ رضًى وسخط؟ فقال: «نعم، وليسَ ذَلكَ على مَا يُوجَد في المخلوقين، وذلك أنَّ الرِّضا والسّخط دخّالٌ يَدخُل عليه، فَينقلهُ من حالٍ إلى حالٍ، وذلك صفةُ المخلوقين العاجزين المُحتاجين، وهو تَبارَكَ وتَعالى العزيزُ الرَّحيمُ، لا حاجَةَ به إلى شيءٍ ممّا خَلَقَ، وخلقُه جميعاً مُحتاجُونَ إليه، وإنّما خلَقَ الأشياءَ من غير حاجةٍ ولا سَبَبِ اختِراعاً وابتِدَاعاً».

** وفي جوابٍ آخَر له عليه السّلام: «نعم، وليسَ ذلكَ عَلى ما يُوجَدُ مِن المَخْلُوقِين، ولكنَّ غَضَبَ الله عقابُه، ورِضاهُ ثوابُه».

قوله تعالى: ﴿..وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ محمّد:٣٨.

روى أبو هريرة أنّ أناساً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله قالوا: يا رسول لله! مَن هؤلاء الّذين ذَكَرَ اللهُ في كتابه؟ وكان سلمان إلى جنبِ رسول الله صلّى الله عليه وآله. فضرب عليه السّلام يدَه على فخذِ سلمان، فقال: «هذا وقَوْمُهُ، والّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإيمانُ مَنوطاً بالثُّرَيّا، لَتَناوَلَه رجالٌ من فارس».